

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقاربة تداولية " سورة هود " أنموذجا

• بين يدي السورة:

أولاً : مكية السورة : سُورَةُ هُودٍ : مَكِّيَّةٌ إِلَّا الْآيَاتِ 114 - 17 - 12 فَمَدَنِيَّةٌ وَأَيَاتُهَا 123 نَزَلَتْ بَعْدَ يُوسُفَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْحَسَنِ وَعِكْرَمَةَ وَعَطَاءَ وَجَابِرَ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ : إِلَّا الْآيَةَ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ ; وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : " وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ " .
ثانياً : آيات السورة :

عدد آيات السورة هو ثلاث وعشرون ومائة آية .

ثالثاً : فضل السورة:

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شَبَّتَ . قَالَ : " شَبَّيْتَنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ " .
وفي حديث آخر رواه سفيان بن وكيع : قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَاكَ قَدْ شَبَّتَ ! قَالَ : (شَبَّيْتَنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا) فَأَلْفَرَعَ يُورِثُ الشَّيْبَ وَذَلِكَ أَنَّ الْفَرْعَ يُذْهِلُ النَّفْسَ فَيُنْتَشِفُ رُطُوبَةَ الْجَسَدِ ، وَتَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ مَنَبَعٌ ، وَمِنْهُ يَعْزِقُ ، فَإِذَا انْتَشَفَ الْفَرْعَ رُطُوبَتَهُ بَيَّسَتْ الْمَنَابِعَ فَيَبَسَ الشَّعْرُ وَأَبْيَضَ ; كَمَا تَرَى الزَّرْعَ الْأَخْضَرَ بِسِقَائِهِ ، فَإِذَا ذَهَبَ سِقَاؤُهُ بَيَّسَ فَأَبْيَضَ ;
وَأِنَّمَا يَبْيَضُ شَعْرُ الشَّيْخِ لِذَهَابِ رُطُوبَتِهِ وَيُبَسُّ جِلْدُهُ ، فَالْنَّفْسُ تَذْهَلُ بِوَعِيدِ اللَّهِ ، وَأَهْوَالِ مَا جَاءَ بِهِ الْخَبْرَ عَنِ اللَّهِ ، فَتَذْبُلُ ، وَيُنْتَشِفُ مَا عَاهَا ذَلِكَ الْوَعِيدُ وَالْهَوْلُ الَّذِي جَاءَ بِهِ ; فَمِنْهُ تَشْيِبُ . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : " يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا " ¹ [فَأِنَّمَا شَابُوا مِنَ الْفَرْعِ . وَأَمَّا سُورَةُ " هُودٍ " وَقَدْ شَبَّتَ هُودٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا حَلَّ بِالْأُمَمِ مِنْ عَاجِلِ بَأْسِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَهْلُ الْيَقِينِ إِذَا تَلَّوْهَا تَرَاءَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ قُوَّةٌ بَطْشُهُ بِأَعْدَائِهِ ، فَلَوْ مَاتُوا مِنَ الْفَرْعِ لَحَقَّ لَهُمْ ; وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَلْطَفُ بِهِمْ . وَأَمَّا أَخَوَاتُهَا فَمَا أَشْبَهَهَا مِنَ السُّورِ ; مِثْلُ " الْحَاقَّةِ " وَ " الْمَعَارِجِ " : وَ " التَّكْوِيرِ " وَ " الْفَارِعَةِ " ، فِي تِلَاوَةِ هَذِهِ السُّورِ مَا يَكْشِفُ لِقُلُوبِ الْعَارِفِينَ سُلْطَانَهُ وَبَطْشَهُ فَتَذْهَلُ مِنْهُ النَّفُوسُ ، وَتَشْيِبُ مِنْهُ الرُّعُوسُ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الَّذِي شَبَّتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سُورَةِ " هُودٍ " قَوْلُهُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْهَا : " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ " فَهُوَ أَمْرٌ بِالِاسْتِقَامَةِ وَالثَّبَاتِ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ إِلَّا عِظَمَاءُ الرِّجَالِ .

¹ سورة المُرْزَلِ : الآية 17 .

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

رابعاً : اسم السورة :

سميت سورة هود بهذا الاسم نسبة إلى قصة النبي عليه السلام الواردة في السورة ، وإحياءً وتخليداً لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله ، حيث لم تذكر أكثر إسهاباً في غير هذه السورة الكريمة .

خامساً : موضوعات السورة :

سورة هود مكية وهي تعنى بأصول العقيدة الإسلامية (التوحيد ، الرسالة ، البعث والجزاء) ، وتحدثت عن الدعوة إلى الله والصبر على البلاء والمقارنة بين المؤمنين والكافرين ، وتحدثت عن قصة نوح عليه السلام ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ، وهارون عليهم السلام ، وختمت ببيان الحكمة من ذكر قصص المرسلين .

كما أن هذه السورة وأخواتها سورتي يونس السابقة وسورة يوسف هي أول ثلاث سور لأسماء أنبياء وكلما كان اسم السورة على اسم نبي كانت قصة هذا النبي هي محور السورة وفي ختام السورة تأتي أية تلخص للقصة وكأنها قاعدة في كل السور المسماة بأسماء أنبياء . وهذه السور الثلاث نزلت في وقت واحد وبنفس الترتيب التي ورد في المصحف ونزلت السور الثلاث بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها ووفاة عم الرسول صلى الله عليه وسلم أبو طالب وما لاقاه " صلى الله عليه وسلم " من أذى في الطائف والرفض دعوته ونصرته من قبائل العرب وكانت تلك الفترة عصيبة جداً على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلـى المسلمين في مكة لما لاقوه من أذى المشركين فمنهم من أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة ومنهم من بقي في مكة يتعرض للأذى والتضييق من قبل كفار قريش ، فكأنما أنزل الله تعالى هذه الآيات تسلياً للنبي صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لأنها تقص عليه ما حدث لإخوانه الرسل من أنواع الإبتلاء ليتأسى بهم في الصبر والثبات . وجاءت السورة لتوضح لنا أن من يمر بهذه الأزمات والمحن قد يتصرف وفق احد هذه التصرفات :

- يفقد الأمل والعمل .
- يتهور ويلجأ إلى العنف والتصرفات غير المحسوبة وتدمير الغير .
- يركن للقوي ويعيش في ظله ويترك قضيته وينتهي أمره على هذا النحو .

لكننا نرى أن الرسل لم يأخذوا أي واحد من هذه التصرفات وكذلك جاءت الآيات تدعو الرسول صلى الله عليه وسلم لعدم التصرف بهذه التصرفات وإنما جاءت آية محورية التي

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " نموذجاً

هي أساس السورة والتي تدور الآيات حولها : " فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " و " وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ " . وهذه الآيات تضمنت التوجيه للرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين كيف يتصرفون في هذه المحنة وفي أي محنة قد تصيبهم في أي زمن وفي أي مكان. إن هذه الآية تعالج حالة نفسية لأناس في وضع صعب للغاية فجاءت بالأمر الأول استقم أي اصبر واستمر بالدعوة، ثم جاء الأمر الثاني : لا تطغوا أي اياكم والتهور والطغيان وجاء الأمر الثالث : ولا تركز بمعنى اياك أن تعيش في ظل القوي وتستسلم له. وهذه الأوامر الثلاث هي على عكس التصرفات المتوقعة ممن أصابته المحن كما أوردنا سابقاً. وقد قال الحسن رضي الله عنه : سبحان الذي جعل اعتدال الدين بين لائين : لا تطغوا ولا تركزوا.

وجاءت آيات السورة تتحدث عن نماذج من الأنبياء الذين أصابتهم المحن ولاقوا من المصاعب ما لاقوا خلال دعوتهم لأقوامهم ومع هذا كله صبروا واتبعوا هذه الأوامر الثلاث. وهذه السورة هي في غاية الأهمية للمسلمين لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : شيببتي هود وأخواتها.

تبدأ السورة بتمجيد القرآن العظيم الذي أحكمت آياته " أَلَّا تَرَ كِتَابُ

أَحْكَمَتْ - آيَتُهُ ثُمَّ بُصِلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَبِيرٍ ﴿١﴾ " وتدعو إلى توحيد

الله تعالى: " أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ " وعرضت

الظروف الصعبة التي كان يعيشها المسلمون آلاً إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ

لِيَسْتَحْفُوا مِنْهُ أَلَّا حِيسَ يَسْتَعْشُونَ نِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ . ويدعو الله تعالى رسوله للثبات والاستمرار في

الدعوة رغم كل الظروف " فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ

صَدْرُكَ أَنْ يَفُولُوا لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ، وعرضت لعناصر الدعوة الإسلامية في ظل كل الظروف الصعبة عن طريق الحجج العقلية مع الموازنة بين فريقى الضلال والهدى وفرقت بينهما كما تفرق الشمس بين الظلمات والنور " مَثَلُ الْبَرِيِّفَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَقْبَلًا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ويتحدث الربع الأول من السورة أول ثلاثين آية عن هذا المعنى: التكذيب شديد وتأثيره شديد على المسلمين.

ثم تنتقل الآيات تتحدث عن سبع نماذج من الرسل الكرام وصبرهم على ما لاقوه من قومهم : قصة نوح أبو البشر الثاني وقد وردت قصة نوح في هذه السورة بتفصيل لم تذكره أية سورة أخرى من السور حتى سورة نوح نفسها. وتشرح كيف صبر نوح على قومه فقد لبث فيهم عمراً طويلاً أطول من أي نبي آخر 950 عاماً يدعوهم وهم على تعنتهم ويسخرون منه ولما طلب الله منه أن يصنع الفلك استمرت هذه العملية سنوات عديدة حتى زرع الشجر ثم أخذ منها الخشب وصنع السفينة وكان يمكن لله تعالى ان يهلك قوم نوح من غير انتظار هذه المدة الطويلة لكن حكمته أرادت أن يظهر طول معاناة نوح وصبره كل هذه السنوات على الأذى حتى نتعلم منه الصبر مهما طال الأذى وعدم اليأس والاستمرار بالدعوة. ولم يكن رد نوح على قومه انفعالياً ولا غاضباً إنما قال: " قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣﴾ " ، فكأنه استقام كما أمره الله وصبر على الدعوة واستمر فيها ولم يتهور في ردة فعله وإنما كان ينصح لهم الآيات 28،29،30،31،32،33،34،35 ولم يركن حتى الى ابنه الذي كان من المغرقين ولم ترد قصة ابن نوح إلا في هذه السورة لمناسبة ورودها لهدف السورة وتحقيق معنى لا تركز ولو كان الكافر الظالم من أهله " وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٠﴾ " و " قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْمِزْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤١﴾

" وتأتى العبرة في نهاية قصة نوح " **قَاصِرٍ إِنْ أَلْعَفِبَةَ لِمُتَّفِينَ** ﴿٤١﴾ "

ثم تأتي قصة هود مع قومه وقد سميت السورة باسمه تخليداً لجهوده الكريمة في

الدعوة إلى الله فقد كان قومه من العتاة المتجبرين الذين اغتروا بقوتهم وقالوا من أشد منا قوة؟ فواجههم هود وكان رجلاً فرداً بين الجم الغفير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد حقرهم وانتقص آلهتهم وحثهم على التصدي له وهي من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشاً إلى إراقة دمه وذلك لثقته بربه وقد قال لهم هود كلاماً جامعاً في أية واحدة ما قالها نبي ولا رسول لقومه أبداً اشتملت كل المعاني الثلاثة التي ذكرناها سابقاً

" إِنْ نَقُولُ إِلَّا **إِعْتْرِيكَ بَعْضُ ءِالِهَتِنَا بِسُوِّءٍ قَالَ إِنِّي **أَشْهَدُ اللَّهَ****

وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِّءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ بِكَيْدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا

تُنذِرُونَ ﴿٤٢﴾ **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ**

بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَفِيمٍ ﴿٤٣﴾ **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَبَدَأَ **أَبْلَغْتُكُمْ مَا****

أَرْسَلْتُ بِهِ ءِإِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي فَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً

إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ ﴿٤٤﴾ .

فكأنما جمعت هذه الآيات استنقم واصبر واستمر بالدعوة ولا تطغى ولا تركز إلى الذين

ظلموا فلم يتحدث أحد بقوة وعدم ركون وإصرار على الرسالة إلا سيدنا هود ولذا سمي الله تعالى السورة باسمه .

• ثم جاءت قصة نبي الله صالح ثم قصة لوط وشعيب ثم قصة موسى وهارون صلوات الله

وسلامه عليهم جميعاً ثم التعقيب المباشر بما في هذه القصص من العبر والعظات التي

تدور حول محور السورة وتخدم أهدافها وتعرض صبر كل نبي على أذى قومه وعدم ركونه وطغيانه.

• ثم ختمت السورة الكريمة ببيان الحكمة من ذكر قصص المرسلين لتثبيت قلب النبي صلى

الله عليه وبارك وسلم أمام الشدائد والأهوال التي تعرض لها **وَكَأَلَّا نَفْصٌ عَلَيْكَ مِنْ**

أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ
وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾. ثم يعرض الله تعالى لنا كيفية تنفيذ الأوامر التي وصانا بها
ويدلنا أن العبادة هي التي تعين على الاستقامة وَأَفِمْ الصَّلَاةَ طَرَبِي النَّهَارِ وَزَلْبَا
مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ ﴿١١٧﴾ ،
والصبر الآية " وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٨﴾ وكأنا الآيات كلها
من الآية 113 إلى نهاية السورة تعين على تنفيذ الهدف. وتختتم السورة بالتوحيد كما بدأت به
ليتناسق البدء مع الختام " وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ
كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾.
ومن لطائف سورة هود البلاغية أن الأوامر بأفعال الخير أفردت للنبي صلى الله عليه وبارك
وسلم وإن كانت عامة في المعنى فاستفهم كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا
تَغْوَا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢٠﴾ وفي المنهيات جمعت للأمة وَلَا تَرْكَبُوا
إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١٢١﴾ .

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

• رصد أفعال الكلام في خطاب السورة وملامح التداول:

﴿ أَلَمْ يَكْتُبْ أَحْكِمْتَ - آيَتُهُ، ثُمَّ بُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾⁽¹⁾

ملفوظ إخباري من أفعال الكلام التقريرية، (assertives) حسب تصنيف سورل وهي الأفعال التي يلتزم بها المتكلم بصدق القضية المعبر عنها وقد جمعت هذه الآيات الكريمة عددا من الأفعال الإنجازية (الوصف، التقرير، الثناء، الإخبار)

قال تعالى: **أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ** ﴿٦﴾ وَأَنْ

إِسْتَعْبِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

كَبِيرٍ ﴿٧﴾

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ أَي : نزل هذا القرآن المحكم المفصل لئلا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له¹.

فعل كلامي انجازي بأسلوب العرض وهو الطلب برفق ولين، القصد منه إسداء النصح والتحذير خشية عليهم من العقوبة الاداة (ألا).

الأمر والنهي: هما من الأساليب الانتشائية الطلبية واما بلغه التداوليين فهما إعلان كلاميان يحمل كل منهما قوة انجازيه تحدها اراده المتكلم وقصده وهي إرادة متعلقه بطلب ايقاع الماموريه وعدم ايقاع المنهي عنه²

وَأَنْ **إِسْتَعْبِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ** فعل انجازي مؤكداً بأن بصيغة الأمر

(illocutoire) ، دعوة المخاطبين إلى الاستغفار والتوبة

¹ جمال محمود الهوبي تفسير سورة هود ص2ط1 2007

² مسعود صحراوي، التداولية عند العرب مرجع سابق ص 150

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقاربة تداولية " سورة هود " أنموذجا

يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ

ملفوظ تقريبي تكمن قوته الانجازية في كون أصل الإمتاع الإطالة ومنه أمتع الله بك ،
ومعنى الآية : يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من سعة الرزق ورغد العيش
وهي بمثابة الحجج والمقدمات للغايه التي خلقهم الله لأجلها وهي عبادة الله وحده لا شريك له
وَإِن تَوَلَّوْاْ أَي : تتولوا وتعرضوا عن الإيمان والطاعة والاستغفار .

بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ أَي : أخاف وأخشى عليكم عذاب يوم

القيامة ، ووصف العذاب بأنه كبير لما فيه من الآلام والأهوال الشديدة

عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ إضافة العذاب إلى اليوم الكبير للتهويل والتفطيع والتخويف

إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ فعل كلامي تقريبي (إخباري)

تضمن قوة انجازيه وهي رجوعكم ومعادكم إلى الله بالموت ، ثم البعث ، ثم الجزاء يوم
القيامة.

وَمَا مِثْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا

كُلِّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ

أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ ۗ أَيُّكُمْ ۗ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَيْسَ

فُلْتُمْ إِنكُمْ مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا

إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦٣﴾ وَلَيْسَ أَخْرَنَّا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولَنَّ

مَا يَحْبِسُهُ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوبًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٤﴾

وَمَا مِثْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا ، تقرير إخبار ووصف أي : ما من

شيء يدب على وجه الأرض من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها بحريها وبريها من

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

إنسان أو حيوان إلا تكفل الله برزقه تفضلاً منه تعالى وتكرماً ، فهو الخالق والرازق وَيَعْلَمُ مُسْتَفْرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴿ قال ابن عباس : مستقرها حيث تأوي إليه من الأرض ، ومستودعها الموضع الذي تموت فيه فتدفن .

كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ أي : كل ما تقدم ذكره من الدواب وأرزاقها وأقدارها وأعمارها ومستقرها ومستودعها مسطر ومثبت في اللوح المحفوظ .

لِيَبْلُوكُمْ وَأَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا اللام متعلقة بخلق : أي خلق هذه المخلوقات ليبنتلي عباده بالاعتبار والتفكر والاستدلال على كمال قدرته وعلى البعث والجزاء أيهم أحسن عملاً فيما أمر به ونهى عنه ، فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، ويدخل في العمل الاعتقاد لأنه من أعمال القلب.¹

أَيُّكُمْ : اسم استفهام، فهو مبتدأ، وجمله المبتدأ والخبر سدت مسد الحال اللازم ذكرها بعد ضمير الخطاب اللازم في (يبلوكم) نظراً إلى ان الابتلاء لا يتعلق بالذوات، فتعديه فعل يبلو إلى ضمير الذوات ليس فيه تمام الفائدة فكان محتاجاً إلى ذكر حال تفيد متعلق بالابتلاء، وهذا ضرب من التعليق وليس عينه.²

وَلَيْسَ قُلْتِ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ أَي : ولئن قلت يا محمد لأولئك المنكرين من كفار مكة أنكم ستبعثون بعد موتكم للحساب وهو فعل كلامي تقريرى وصفي تكمن قوته الإنجازية في الإخبار عن يوم البعث.

لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ أَي : ليقولن الكفار المنكرون للبعث والنشور ما هذا القرآن إلا سحر واضح مكشوف . وقد تضمنت هي الأخرى فعلا كلامياً تقريرياً وتأثيرياً صادر من الفعل الكلامي الأول (مبعوثون) مؤكداً بان تكمن قوته الإنجازية في ادعاءات الكفار الكاذبة وخبث نفوسهم.

¹ جمال محمود الهوبي ، تفسير سورة هود ، ص 2 ، ط 1 ، 2007 .

² الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ص 8 .

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقاربة تداولية " سورة هود " نموذجاً

وَلَيْسَ آذُنَا إِلَّا نَسْنَمْنَا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوفُ كَقَبُورٍ ﴿١٠﴾
وَلَيْسَ آذُنُهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءَ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ
لَقَرِيحٌ بَخُورٌ ﴿١١﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ
بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكَ إِنَّمَّا
أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرِيهِ فَلْيَأْتُوا
بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مَفْتَرِيَةٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥﴾ وَلَيْسَ آذُنَا إِلَّا نَسْنَمْنَا رَحْمَةً أَي :

ولئن أنعمنا على الإنسان بأنواع النعم من الصحة ، والأمن والرزق وغيرها من النعم ثم
نزعناها منه أي : سلبنا تلك النعم منه إِنَّهُ لَيَكُوفُ كَقَبُورٍ صيغ مبالغه على وزن
فعلول وتعني كثير اليأس وشديد الكفر أي : يائس كثير اليأس من الرحمة ، كَقَبُورٍ للنعم
جاحدا لها.

إن الغرض الإنجازي للأفعال الكلامية الواردة في الآيات السابقة هو التقرير ، بحيث تتم
انجازه هذه الأفعال من خلال خطوتين، يتحقق الانجاز في الخطوة الأولى من خلال نطق
الكلام وأدائه، بينما يتحقق في الخطوة الثانية من خلال الإخبار أو الوصف باعتبارهما
غرضين انجازيين شأنهما شأن أي غرض آخر كالرفض أو القبول إلى غير ذلك¹، وهو ما
توصل إليه أوستين الذي بين أن الإخباريات (الوصفيه) في الظاهر، والتي يسميها

¹ ينظر علي محمود حجي الصراف، في البرغماتيه، الأفعال الانجازيه في العريبه المعاصره، مكتبه الاداب القايرة، مصر

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقاربة تداولية " سورة هود " أنموذجا

لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١٢١﴾ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٢﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿١٢٣﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢٤﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى
وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۗ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَمْ لَا تَذْكُرُونَ ﴿١٢٥﴾ .

1- اختلف العلماء في المراد من قوله تعالى : وَيَقُولُ الْآشْهَادُ إِلَىٰ أَقْوَالٍ عَدِيدَةٍ
وهي :

أ- الأَشْهَادُ هم الملائكة ، وبه قال مجاهد والأعمش .

ب- الأَشْهَادُ هم الأنبياء والرسل ، بدليل قوله : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
بشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء : 41) وبه قال الضحاك .

ج- قيل : هم الملائكة والأنبياء والعلماء الذين بلغوا الرسالات .

د- قيل : هم الخلائق أجمع ، وبه قال قتادة .

تضمنت هذه الآيات أفعال كلامية تقريرية وإخبارية تكمن قوتها الانجازية في وصف

كذب هؤلاء الكفار عميت أبصارهم وسدت آذانهم مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا

كَانُوا يُبْصِرُونَ فعل كلامي إخباري تضمن قوة انجازية وهي الوعيد ومال الكفار يوم

القيامة يُضَعِفُ لَهُمُ الْعَذَابَ ، فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ فعل كلامي انجازي

من فئة الالتزامات (commissives) ويتحقق بالتزام المتكلم بانجاز عمل في المستقبل ،

حسب تصنيف سورل¹.

¹ محمود احمد نحل ، أفق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص50.

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَيْ : إن الذين

جمعوا بين الإيمان القلبي والعمل بالجوارح ، فعملوا الصالحات قولاً وفعلاً من الإتيان

بالطاعات وترك المنكرات وخشعوا وخضعوا وذلوا لخالقهم ومالكهم ﴿١٠٧﴾ أَصْحَابُ

الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أَيْ : أولئك أصحاب وأهل وورثة الجنة يوم القيامة ، منعمون

فيها ومخلدون لا يخرجون منها أبداً .

مَثَلُ الْقَرِيفَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ فقد شبه سبحانه

فريق الكافرين بالأعمى والأصم لتخبطهم في ظلمات الضلالة وعدم اهتدائهم إلى سبيل

الطاعة والسعادة كتخبط الأعمى الأعمى الأبكم في سيره ، وشبه سبحانه فريق المؤمنين بالبصير

والسميع لإبصارهم نور الحق واهتدائهم إلى سبيل الطاعة والسعادة كاهتداء السميع البصير

في سيره. هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا فعل كلامي انجازي الاستفهام إنكاري ، أي : لا يستوي

الفريقان مثلاً كعدم استواء الأعمى والأصم ، والبصير والسميع أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَيْ : أفلا

تعتبرون وتتعتظون ؟ والغرض التفريق بين فريق أهل الطاعة والإيمان ، وفريق أهل الجحود

والعصيان

والسؤال من الله تعالى في القرآن مستغن عن سؤال خلقه فهو يعلم الأشياء قبل كونها وإنما

يستفهم ليقررهم ويذكرهم انهم قد علموا حقيقته ماسئلوه عنه.

الاستفهام: عند علما المعاني استعمال عن نسبه هي في اصلها خبر¹.

لما ذكر تعالى عناد الكافرين من أهل مكة ، وتكذيبهم لرسول الله ﷺ واتهامهم له بافتراء

القرآن ، ذكر هنا قصة نوح مع قومه الكافرين لتكون كالعظة والعبرة لمن كذب وعاند ولتسلية

الرسول ﷺ بسرد قصص المرسلين وما جرى لهم مع أقوامهم .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٨﴾ أَمْ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا

اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ إِلِيمٍ ﴿١٠٩﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا

¹ مهدي المخزومي، في النحو العربي ، نقد وتوجيه ، ص 264.

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ
أَرَادُوا بَادِيَ الرُّأْيِ وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ

كَاذِبِينَ ﴿٧٧﴾

يمكن توضيح الفعل الكلامي في الآيات كما يلي

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ

قوة انجازيه متضمنة في القول
وهي التأكيد , التحذير والوعيد

الإخبار :قوة انجازيه صريحة وهي
الإخبار عن إرسال النبي نوح إلى قومه

أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ

قوة انجازيه متضمنة في القول وهي
النهي القصد منه إسداء النصيح
والتحذير خشيه عليهم من العذاب

ملفوظ كلامي صريح, النهي

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

فَقَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا
نَرِيكَ إِلَّا تَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ وَأَرَادْنَا بِأَدْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرِي لَكُمْ
عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ

المتضمن في القول أنهم بادروا إلى
إتباعه من غير تعمق وتفكر وروية ،
وهذا مردود عليهم لأن الحق إذا
وضح لا يبقى للرأي ولا للفكر مجال
بل لا بد من إتباعه.

القوة الانجازية الصريحة هي
النفى مع الحجاج .

قَالَ يٰ قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآبِتِينَ رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ
فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمُ الْأَنْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهُونَ ﴿١٧٨﴾ وَيٰ قَوْمِ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِن آجِرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
إِنَّهُمْ مُّكَلَّفُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرِيكُمْ فَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَيٰ قَوْمِ مَنْ
يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُّهُمْ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ ﴿١٨٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي
خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي
أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿١٨١﴾ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٨٢﴾

قَالَ يٰ قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآبِتِينَ رَحْمَةً مِّن
عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمُ الْأَنْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَاهُونَ

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

بعد أن عارض الملائكة نوحاً عليه السلام واحتجوا ببشريته ، وبأن أتباعه أراذل الناس ، واتهموه بالكذب ، ناسب أن يذكر هنا رد نوح عليه السلام عليهم وإجابته على باطلهم . تضمنت الآية فعلاً كلامياً إنجازياً ، الأول هو تأثيري (النداء - يا قوم -) تتمثل قوته الإنجازية في تنبيه المخاطبين على تلقي الخطاب ، والثاني استفهام إنكاري ، فقال نوح عليه السلام : أخبروني يا قوم إن كنت على برهان وأمر جلي من ربي بصحة دعواتي ، فخفي الأمر عليكم فلم تهتدوا إليها ولا عرفتم قدرها بل بادرتم إلى تكذيبها وردّها لاحتجاجكم الباطل بالمادة على نور الإيمان **أَنْلِزْمُكُمْ هَا وَ أَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿١٨﴾** أي : أنكرهم ونجبركم ونغصبكم ونضطرركم على قبولها وأخذها والحال أنهم كارهون منكرون لها ؟ والاستفهام للإنكار أي لا نفعل ذلك لأنه لا إكراه في الدين .

﴿ وَيَقُولُ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ مَا لَأَ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَّفُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرِيكُمْ فَوْماً تَجْهَلُونَ ﴿١٩﴾

وَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾ نلاحظ إعادة

الخطاب (يا قوم) تأكيد ، أي ويا قوم لا أسألكم على نصيحتي لكم وتبليغي دعوة الله إليكم مالا أجرة أخذها منكم على ذلك ما ثوابي إلا من الله فإنه هو الذي يثبيني ويجازيني ،

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ

وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي

أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

1- خزائن السموات والأرض بيد الله وحده يصرفها كيف يشاء ومتى يشاء وعلى من يشاء فهو الذي يغني وهو الذي يفقر ﴿أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ (النجم : 48) ، والإنسان وهو في بطن أمه يكتب رزقه ، قال صلى الله عليه وسلم : ﴿ نَفَثَ رُوحُ الْفُؤَادِ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلَهَا ، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا ، فَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ ﴾ (1) ، وقال تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات : 22) .

(1) المعجم الكبير للطبراني 166/8 ، ح (7694) .

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

2- الغيب لا يعلمه إلا الله ، فهو سبحانه يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، والله يعلم ما تخفي الصدور وما يدور في العقول ويعلم كل شيء وأما المخلوق فلا يعلم من الغيب بمعناه العام وهو ما غاب عنه إلا ما قدره الله له وهو قليل جداً وهو الآتي :

أ- ما أخبر به عن طريق الوحي كالقرآن والسنة كقصص السابقين ، كعلامات يوم القيامة ، وما يحدث في اليوم الآخر ... إلخ .

ب- ما علمه عن طريق الرؤيا الصادقة فهو جزء من ست وأربعين جزء من النبوة ، كالرؤى التي في قصة يوسف عليه السلام (رؤيا يوسف عليه السلام ، ورؤيا صاحبي السجن ، ورؤيا عزيز مصر) .

ج- ما علمه عن طريق سنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل كشروق الشمس صباحاً وغروبها ليلاً وتعاقب الليل والنهار .

د- ما علمه عن طريق الأجهزة والمخترعات العلمية وكل ذلك بإذن الله حيث يسر للإنسان اكتشافها كالحمل ونوعه ، وأجهزة رصد الظروف الجوية والأرضية ، وأجهزة الاتصالات على الأرض وفي الفضاء ... إلخ .

هـ- ما علمه عن طريق الجن مما اطلع عليه الجن ومما وقع من أحداث ونحن كبشر لم نطلع عليها وكان الجني صادقاً .

3- لا يجوز للمسلم أن يحتقر ويزدري أخاه المسلم لسبب غير مشروع كالأسباب الدنيوية ، قال ﷺ : ﴿بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ (1)﴾ .

4- الآية تدل على أن العضو الذين كان الملائكة الذين كفروا يزدرون (يحتقرون) أتباع نوح عليه السلام هي الأعين .

فَالْوَأْيُنُوحُ فَذَجَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا بَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصّٰدِقِيْنَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٨﴾

وَلَا يَنْبَغُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ

(1) صحيح مسلم 426/12، ح 4650.

يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِبْتِرِيهٖ فَلِإِنِ

إِبْتِرَيْتَهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿١٣﴾ - الداعية عليه أن يكثر

من محاجة قومه وأن يمضي قدماً في تبليغ دعوة الله مهما كذب وأوذي ولا يبأس مهما طال الزمن ، قال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ (نوح : 5-9) .
﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (33) .

- إن عذاب الله لا يقع إلا بمشيئة الله ، ولا أحد يستطيع أن يفر منه أو يدفعه عن نفسه إن أراد الله أو يوقعه عليه .

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (34) .

الهداية بيد الله ، فالداعية نبياً أو غيره يرشد إلى الإيمان والعمل الصالح ولا يوقع الهدى في القلوب ، وإنما الله هو الذي يهدي قلوب من يشاء من عباده حسب علمه وحكمته ، ومما يجدر ذكره أن النبي ﷺ بذل جهداً كبيراً في هداية عمه أبي طالب ، إلا أن الله لم يهد قلبه ، قال تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص : 56) .

2- قال القرطبي : "إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ أَي : يضلكم وهذا مما يدل

على بطلان مذهب المعتزلة والقدرية ومن وافقهما ، إذ زعموا أن الله لا يريد أن يعصي العاصي ، ولا يكفر الكافر ، ولا يغوي الغاوي ، وأنه يفعل ذلك ، والله لا يريد ذلك ، فرد الله عليهم بقوله : إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ... فأضاف إغواءهم إلى الله

سبحانه وتعالى ، إذ هو الهادي والمضل ، سبحانه عما يقول الجاحدون والظالمون .

أَمْ يَقُولُونَ إِبْتِرِيهٖ فَلِإِنِ إِبْتِرَيْتَهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ

هناك تشابه كبير بين مواقف الأمم المختلفة المكذبة مع أنبيائهم ، فهنا قوم نوح عليه السلام

الفصل الثاني : أفعال الكفار مقاربة تداولية " سورة هود " أنموذجا

أول رسول وقوم محمد ﷺ آخر رسول اتهموا النبيين عليهم السلام بالافتراء كان موقفهم من نبيهم العناد والتكذيب والكفر .

وَإِذْ وَجَّيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدَّ - أَمَّا فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٠٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَفُونَ ﴿١٠٧﴾ وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿١٠٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ

عَذَابٌ مُّفِيمٌ ﴿١٠٩﴾ الآية تدل على أن الله عز وجل يعلم من سيؤمن ومن لن يؤمن ، وأن هذا من الغيب الذي اختص به سبحانه لا يشاركه فيه أحد لا نبي ولا ملك ولا غير ذلك ، وكل هذا ملفوظ إخباري تقريرى .

الآية تدل على أن الداعية إلى الله بعد أن يبذل جهده المالى والبدني والعقلي والزمني في الدعوة ، عليه أن لا يبتئس ولا يغتم ولا تذهب نفسه حسرات بسبب إصرار وعناد الكفار والعصاة ، بل يعيش حياته .

3- قوله : **بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** اشتملت على أعمال القلب كالكفر والجحود والتكذيب ، وأعمال الجوارح كعبادة الأصنام والصد عن سبيل الله .

4- لماذا لم يُمهّل قوم نوح كما في الآية ، بينما أمهل قوم محمد ﷺ عندما أشار عليه ملك الجبال أن يطبق على المشركين الأخشيين بعد رحلته للطائف ، فقال ﷺ ﴿ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ﴾ (1). والإجابة على ذلك من ثلاثة وجوه :

أ- إن قوم نوح عليه السلام أمهلوا مدة طويلة (950 سنة) ، وبذلك أعذروا كمال العذر ، وأما قوم محمد ﷺ فالحديث السابق كان قبيل الهجرة بقليل وفرق هائل بين 950 سنة و23 سنة .

(1) صحيح البخاري 8/11، ح2992.

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

ب- إن الله تعالى علم أن قوم نوح لن يؤمن منهم إلا من قد آمن وذلك حذر نوحاً عليه السلام من الشفاعة فيهم ، وأما قوم محمد ﷺ فقد علم الله أنهم سيسلمون يوم فتح مكة ولذلك قبل تأخير العذاب عنهم .

ج- إنه لا اجتهاد مع النص ، فنوح عليه السلام لم يخير ، ومحمد خير بقول الملك ﴿إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطِيقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ...﴾ (1) إلخ .

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ

مُغْرَفُونَ إِنْ مِنْ يَنْصُرِ اللَّهَ وَيُطِيعَهُ وَيَبْذِلُ فِي ذَلِكَ جَهْدَهُ مَخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ

تعالى يحفظه الله ويرعاه ، ويحرسه ويوفقه ويسدده ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ .

2- إذا رأينا عذاب الله واقعاً على الكفرة أوالمجرمين ، فلا تسأل الله أن يؤخره عنهم وأن يمهلهم مرة أخرى لأن فيما يبدو أن أمر الله قد جاء والقدر مضى بذلك وانتهى منه "إن الله ليمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" .

3- أن قلوب الأنبياء مملوءة بالرحمة على أقوامهم ولذلك نهى الله عن الشفاعة لهم بعد أن قدر عليهم العذاب .

﴿وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ

تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ

- على الداعية أو العالم أن يبذل من صنعته ووقته وماله لخدمة دينه وإرضاء ربه ، وأن لا يترفع أو يتعالى على ذلك ، بل يفعله سعيداً وهو يرجو رحمة ربه وقبوله لعمله ، فقد شارك رسول الله ﷺ في بناء المسجد وشارك في حفر الخندق .

2- المراد من ﴿مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي : بعض أشرف قومه ، ولو قال الملاء لاستغرقهم جميعاً

3- أسباب سخريتهم من نوح عليه السلام تتمثل في الآتي :

أ- قالوا يا نوح كنت بالأمس نبياً وأنت اليوم نجاراً .

ب- أنه كان يصنع سفينته في الصحراء أو في البر حيث لا بحر ولا ماء .

ج- أنهم بكفرتهم كانوا يستهزئون بالأنبياء بالباطل ولغير سبب .

(1) صحيح البخاري 8/11، ح2992.

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

4- دأب الكفار والمكذبون الاستهزاء بالأنبياء ودعواتهم وأتباعهم وأفعالهم لسبب ولغير سبب وكل ذلك بالباطل ، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام : 10) وقوله ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يس : 30) .

5- يجوز للدعاة والمسلمين الاستهزاء بالكفار والمجرمين لأسباب مشروعة ، كالاستهزاء بهم لعبادتهم من لا يسمع ولا يرى ولا ينفع ولا يضر ، أو لعبادته من يصنعه من عجوة أول النهار ويعبده ، فإذا جاع آخر النهار أكله ... إلخ .

6- يجوز رد الاعتداء بمثله ولكن في إطار الشرع لقوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل : 126) .

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّهِمٌ - عبر

بقوله " مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ " ليدل على أن العذاب سيأتي هو إليهم ومخصوصاً بهم ، أي باسمهم ومقدر عليهم هم لا غيرهم .

2- الآية اشتملت على عذابين ، أولهما : عذاب الدنيا وهو الغرق والمعبر عنه بقوله

عَذَابٌ يُخْزِيهِ ، وعذاب الآخرة في جهنم والمعبر عنه بقوله وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ

مُهِمٌ .

3- عذاب الله على الأمم التي كذبت وكفرت بالله ورسله ، متنوع ومختلف من أمة لأخرى وقد يتكرر أحياناً نفسه في أكثر من أمة ، والجامع المشترك في ذلك أنه عذاب الله وانتقامه من الكافرين بعد أن رأوا الآيات والمعجزات الدالة على صدق الأنبياء فقم نوح وقوم فرعون أهلکوا بالغرق .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَبَارَ التَّوْرُ فَلْنَا بِأَحْمِلَ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ

إِثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَن - أَمَسَ وَمَا آَمَسَ مَعَهُ إِلَّا

فَلِيلٌ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ إِزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِبُهَا وَمُرْسِيهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ
 فِي مَغْرَلٍ يَبْنِي إِرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاءَ مَا
 إِلَيَّ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ
 وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَفِينَ ﴿٤٣﴾ وَفِيلٌ يَأْرِضُ إِبْلَعِي
 مَاءَ كِ وَيَسْمَاءُ أَفْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى
 الْجُودِيِّ وَفِيلٌ بَعْدَ اللَّفْؤِمِ الْإِلْمِيمِينَ - قال مآءك ولم يقل الماء في قوله

وَفِيلٌ يَأْرِضُ إِبْلَعِي مَاءَ كِ ليدل على أن تبلع الماء الذي فار منها وتفجر عيوناً ،

دون ماء السماء ، وقد يكون المراد أن تبلع (تشرّب) الأرض الماء المتجمع عليها من مائها
 الذي خرج منها دون ماء السماء ، ولم يقل ابلي الماء حتى لا تبلع كل ما عليها من ماء
 كالبهار والأنهار فتجف الأرض وتموت الحياة .

2- بدأ بالأرض قبل السماء لأن الماء فار من الأرض قبل أن ينزل مطر من السماء .

3- قدم نداء الأرض على السماء في قوله : وَفِيلٌ يَأْرِضُ إِبْلَعِي مَاءَ كِ وَيَسْمَاءُ

أَفْلِعِي لكون ابتداء الطوفان منها وهو قوله : حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَبَارَ التَّوْرُ وَهَذَا

مشكل لقوله : ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ (القمر : 11-

12) ويدفع الإشكال بأن يقال في الآية الأخيرة تقديم وتأخير ، (قلت) : أو أن الله جعل
 التور - وجه الأرض أو الفرن - يفور بالماء أولاً ، ثم فتح أبواب السماء بماء منهمر ثانياً ،
 ثم فجر العيون التي فارت سابقاً ثالثاً ، وبذلك لا يكون تقديم وتأخير في الآية .

4- روي أن أعرابياً سمع هذه الآية : يَأْرِضُ إِبْلَعِي مَاءَ كِ وَيَسْمَاءُ أَفْلِعِي

وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَفِيلٌ بَعْدَ اللَّفْؤِمِ

إِلْمِيمِينَ ، فقال هذا كلام القادرين لا يشبه كلام المخلوقين ، ويروى أن (ابن المقفع)

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

وكان أفصح أهل زمانه رام أن يعارض القرآن فنظم كلاماً ، وجعله مفصلاً ، وسماه سوراً ، فمرّ يوماً بصبي فسمعه يقرأ الآية فرجع إلى بيته ومحا ما كان قد بدأ به ، وقال : أشهد أن هذا لا يعارض أبداً ، وما هو من كلام البشر .

5- قال القرطبي : "والصحيح أنه أهلك الولدان بالطوفان ، كما هلكت الطير والسباع ، ولم يكن الغرق عقوبة للصبيان والبهائم والطيور ، بل ماتوا بأجالهم" وهو مروى عن الضحاك .

6- قال القرطبي : "الجوديّ جبل بقرب الموصل ، استوت عليه في العاشر من المحرم يوم عاشوراء ، فصامه نوح وأمر جميع من معه من الناس والوحش والطيور والدواب وغيرها فصاموه ، شكراً لله تعالى" .

7- قال القرطبي : "أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر : الجوديّ بنوح ، وطور سيناء بموسى وحراء بمحمد صلواته وسلامه عليه أجمعين" .

(قلت) : وكذلك أكرم سبحانه جبل أحد بمحمد ﷺ القائل ﴿أُحَدِّثُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ﴾ (1) .

وجبل عرفات بفريضة الحج ووقوف الأنبياء والحجيج عليه قال ﷺ : ﴿الْحَجُّ عَرَفَةٌ﴾ (2) ،

وجبل ثور باختباء النبي ﷺ فيه أيام الهجرة ، وجبليّ الصفا والمروة بجعلهما من شعائر الحج قال تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ .

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ

أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (3) قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ

صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِن

الْجَاهِلِينَ﴾ (4) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ

وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (5) فَيَلَّ يَنْوُحُ! هَبِطْ بِسَلْمٍ

مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّمٍ مِّمَّ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَمَّتِيَّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ

مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (6) تِلْكَ مِن أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ

(1) صحيح البخاري 333/5، ح 1387.

(2) مسند أحمد 222/38، ح 18023.

تَعَلَّمَهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا قَاصِرًا إِنَّ الْعَافِيَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤١﴾

قال القرطبي في قوله : **إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي** : " فيها أيضاً دليل على أن الابن من الأهل لغة وشرعاً ومن أهل البيت ، فمن وصى لأهله دخل في ذلك ابنه ، ومن تضمنه منزله وهو في عياله وقال تعالى في آية أخرى : ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنعَمَ الْمُجِيبُونَ * نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (الصافات : 75-76) فسمى جميع من ضمه منزله من أهله .
2- أن من الجهل الكبير أن يسأل الإنسان ربه ما لا علم له به ، مما لا يجوز أن يسأله عنه ، كأن يسأل النبي مثلاً عن موعد يوم القيامة ، أو يسأل العبد يا رب لم فعلت كذا وكذا .

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَإِن

أنتم وإلا فمفترون ﴿٤٢﴾ يَا قَوْمِ لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِ اجْرَىٰ إِلَّآ عَلَىٰ

الذِّمَّةِ ۖ إِنِّي أَخْلَا تَعْفِلُونَ ﴿٤٣﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ

يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا

مُجْرِمِينَ ﴿٤٤﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِٰهِنَا

عَسَٰ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٥﴾ إِن نَّفُوعٌ إِلَّآ اِبْتِرَافِكَ بَعْضُ

آلِٰهِنَا بِسُوءٍ قَالِ إِنِّي اءَشْهَدُ اءَلَّهَ وَاَشْهَدُوْا اَنِّي بَرِحْتُ مِمَّا تُشْرِكُوْنَ مِّنْ

دُوْنِهِۦٓ فَكَيْدُوْنِيۡ جَمِيْعًا ثُمَّ لَا تُنۡدِرُوْنَ ﴿٤٦﴾ اِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اءَلَّهِ رَبِّيۡ

وَرَبِّيۡكُمْ مَّا مِّنْ دَآءِبَةٍ اءَلَّآ هُوَءَا اءَاخِذُ بِنَاصِيَّتِهَا اِنَّا رَبِّيۡ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ

﴿٤٧﴾ فَاِِن تَوَلَّوْا فَقَدْ اَبْلَغْتُكُمْ مَّا اُرْسِلْتُ بِهِۦٓ اِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّيۡ

قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوْنَهُۥ شَيْئًا اِنَّا رَبِّيۡ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ ﴿٤٨﴾ - قال

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقاربة تداولية " سورة هود " أنموذجا

القرطبي في قوله **وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا**؛ " وقيل له أخوهم لأنه منهم ، وكانت القبيلة تجمعهم ، كما تقول : يا أخا تميم ، وقيل : إنما قيل له أخوهم لأنهم من بني آدم كما أنه من بني آدم .

2- الأنبياء والرسول جميعاً جاءوا بعقيدة التوحيد وعبادة الله وحده .

﴿٥٧﴾ **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا**

وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٧﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٨﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا

لَعْنَةً وَيَوْمَ الْفِيلَةِ ﴿٥٩﴾ إِلَّا إِنْ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴿٦٠﴾ إِلَّا بُعْدًا لِّعَادٍ فَوْمٍ هُودٍ

- وصف عذاب الله بأنه غليظ في قوله **عَذَابٍ غَلِيظٍ** ، وفي مواقف أخرى وصفه أليم ، شديد ، مهين ، عظيم ، مقيم ، مخزي ... الخ .

2- يدل على أن اللغة العربية يعجز لفظ واحد منها عن وصف جهنم ، ولذلك جاء بعدة ألفاظ لوصفها ، ونظن أنها لا تستغرق وصفها .

﴿٦١﴾ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي إِلَهٍ**

غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْبِرُوهُ ثُمَّ

تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦٢﴾ قَالُوا يَلْصَلِحُ فَدُكُنْتَ بَيْنَا مَرْجُوعًا

فَبَلَّ هَذَا أَتْنَهِينَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّا لَمِ شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا

إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٣﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَءَاتَيْنِي

مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ

﴿٦٤﴾ **وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَافَةٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أَيْةٌ بَدَرُوهَا تَاكُلُ مِن أَرْضِ اللَّهِ وَلَا**

تَمَسُّوہَا بِسُوءٍ فَيَاخُذُكُمْ عَذَابٌ فَرِيبٌ ﴿١٣﴾ فَعَفَرُوهَا فَبَالَ تَمَتَّعُوا فِي
 دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
 صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
 الْفَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٥﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ
 جَثَمِينَ ﴿١٦﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ؕ أَلَا بُعْدًا
 لِتَمُودَ ﴿١٧﴾

قال القرطبي : « مِمَّا تَدْعُونَا » الخطاب لصالح ، وفي سورة إبراهيم تَدْعُونَا لِأَنَّ
 الخطاب للرسول صلوات الله وسلامه عليهم .

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ بِمَا لَبِثَ
 أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ
 مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفِ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿١٩﴾ وَامْرَأَتُهُ فَأَيِّمَةٌ
 فَضَحِكَتْ بَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٢٠﴾ قَالَتْ
 يَوَيْلَيَّ ءَايِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢١﴾
 قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ ؕ أَهْلَ الْبَيْتِ
 إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ
 يُجَدِّدُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٢٣﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٢٤﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ
 أَغْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ؕ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ
 مَرْدُودٍ ﴿٢٥﴾

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقاربة تداولية " سورة هود " أنموذجا

1- قال القرطبي : "الضيافة من مكارم الأخلاق ، ومن آداب الإسلام ، ومن خلق النبيين والصالحين ... وليست بواجبة عند عامة أهل العلم ، لقوله ﷺ : ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَنْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ﴾ (1).

والجائزة العطية والصلة التي أصلها على النذب .

2- قال القرطبي : "اختلف العلماء فيمن يخاطب بها ، فذهب الشافعي ... إلى أن المخاطب بها أهل الحضر والبادية . وقال مالك : ليس على أهل الحضر ضيافة . قال سُحْنُون : إنما الضيافة على أهل القرى ، وأما الحضر فالفندق ينزل فيه المسافر ... قال ابن العربي : الضيافة حقيقة فرض على الكفاية ، ومن الناس من قال : إنها واجبة في القرى حيث لا طعام ولا مأوى ، بخلاف الحواضر فإنها مشحونة بالمأواة والأقوات ، ولا شك أن الضيف كريم ، والضيافة كرامة ، فإن كان غريباً فهي فريضة" .

3- الضيافة في الإسلام سنة مستحبة أقلها يوم وأكثرها ثلاثة أيام فمن زاد فهو خير له للأحاديث السابقة ، وسواء كان ذلك لفقير أو لغني في الحضر أو البادية . وتصير الضيافة واجبة إذا انقطع الضيف عن الطعام والشراب والمأوى فقيراً أو غنياً في البادية أو الحضر (وهذا تلخيص الدرسين السابقين) .

4- من آداب الضيافة في الإسلام ما يلي :

أ- أن يعجّل المضيف بضيافة الضيف .

ب- أن يقدم المضيف أفضل ما عنده دون أن يتكلف ما يضر به (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) .

ج- أن يبادر الضيف بالأكل فإن كرامته بتعجيل ضيافته ، وكرامة المضيف مبادرة الضيف بالأكل .

د- أن ينظر المضيف بتلفت ومسارقة لا بتحديد نظر في ضيفه هل يأكل أم لا ؟ ويشجعه على الأكل .

هـ- أن يقوم ويتعاون أهل البيت من الزوج والزوجة والأولاد على خدمة الضيف وإكرامه ، فهنا تعاون إبراهيم عليه السلام وزوجته سارة في إكرام ضيوفهم .

(1) سنن أبي داود 189/10، ح 3256.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَخَاءَ بِهِمْ وَعِصْيًا بِهِمْ دَرَعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ ﴿٧٦﴾ وَجَاءَهُرُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ قَالَ يَلْفُومٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ
فِي ضَيْبِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا لَفَدَّ عَلِمْتَ مَا لَنَا بِهِ
بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٨﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ
-اِوْتِيَ إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٧٩﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ
فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِفِجٍّ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَمِعْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ إِنَّهُ
مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا
جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا وَأُمَّرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٨١﴾
مَنْضُودٍ مُّسَوَّمَةٍ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ اللَّائِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٢﴾

عرض لوط عليه السلام على الذين أرادوا الفاحشة بضيوفه الزواج من بناته اللاتي من صلبه ،
أو الزواج من بنات قومه ؛ لأن نبي القوم أب لهم ، وليس المقصود بذلك الزنا ، ذلك أن
المؤمن الصالح يأباه ، فكيف بنبي معصوم !؟

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَلْفُومٌ اِعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي إِلَهٍ غَيْرُهُ
وَلَا تَنْفُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٣﴾ وَيَلْفُومٌ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
بِالْفِئْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٤﴾
بَفِيئَتِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَمِيظٍ

﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ بِحِمْيَرٍ مِمَّا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَلْفُومٌ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ شَيْئًا وَلَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الصَّالِحَ مَا اسْتَوَقَّعْتَ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَلْفُومٌ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ إِلَّا كَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ وَلَا نَقَصَ قَوْمَ الْمَكِّيَّاتِ وَالْمِيزَانَ إِلَّا قُطِعَ عَنْهُمْ الرِّزْقُ وَلَا حَكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ الْحَقِّ إِلَّا فَتَنَّا فِيهِمُ الدَّمَ وَلَا خَنَرَ قَوْمٌ بِالْعَهْدِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعُدُوَّ ﴿٩١﴾ (1).

1- على الداعية أن يبدأ بدعوة الناس إلى الدين أولاً ، ثم ما يتعلق بأمور الدنيا ثانياً ، وهي من الدين .

2- إن إنقاص المكيال والميزان من البخس الذي يعاقب الله عليه في الدنيا والآخرة ، وفي الحديث عن النبي ﷺ : " مَا ظَهَرَ الْعُلُوفُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا أَلْقِيَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ وَلَا فَتَنَّا الزُّنَا فِي قَوْمٍ قَطُّ " .

﴿٩٢﴾ قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمٌ بِكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩٣﴾ قَالَ يَلْفُومٌ أَرَهُمْ يَأْتُونَكَ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ فِيهِ مِنْ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ وَيَلْفُومٌ ﴿٩٥﴾ (ثمن) وَيَلْفُومٌ إِعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ

تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَفِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَفِيبٌ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جاثِمِينَ ﴿١٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿١٥﴾ 1

- قال ابن عباس : " ما أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب ، أهلكهم الله بالصيحة ، غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم ، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم " .

2- قال ابن كثير : "وذكر هاهنا أنه أنتهم صيحة ، وفي الأعراف رجفة وفي الشعراء عذاب يوم الظلة وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها ، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه ، ففي الأعراف لما قالوا ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ﴾¹ ناسب أن يذكر هناك الرجفة فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها ، وهاهنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ذكر الصيحة التي استلبتتهم و أخذتهم ، وفي الشعراء لما قالوا فَأَسْفِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ان كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ² قال: فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ³ وهذا من الأسرار الدقيقة والله الحمد والمنة كثيراً دائماً .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧﴾ يَفْتَدِمُ فَوْمَهُ يَوْمَ الْفِيلَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِيسَ الْوَرْدِ الْمَورُودِ ﴿١٨﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ

1 سورة الأعراف الآية 88 .

2 سورة الشعراء ، الآية 188 .

3 سورة الشعراء ، الآية 189 .

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

الْفَيْلِمَةَ بَيْسَ الرِّفْدِ الْمَرْفُودِ ﴿١١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَفْسُهُ عَلَيْكَ
مِنْهَا فَايِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٢﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ
عَنْهُمْ دَعَايَهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا
زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيبٍ ﴿١٣﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ
ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ
الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٥﴾ وَمَا
نُؤَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُّودٍ ﴿١٦﴾ يَوْمَ يَأْتِيهِ لَأَتَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ
فَمِنْهُمْ شَفِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٧﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفُوا فَمِنْهُمْ فِي النَّارِ لَهَا فِيهَا زَفِيرٌ
وَشَهِيقٌ ﴿١٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَمِنْهُمْ فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا
مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ لَمْ يَلْمِزُوا
أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ فِي الْفَوْزِ ﴿٢٠﴾

1- قال القرطبي : "وهذه الآية أكثر ما يسأل عنها أهل الإلحاد في الدين فيقول : لم قال ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِفُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ وَلَا يُودُنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ﴿٢١﴾ ¹ وقال في موضع
عن ذكر يوم القيامة : ﴿ وَأَفْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ﴿٢٧﴾ ² وقال : ﴿ يَوْمَ
تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّدُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ (النحل: 111) وقال : ﴿ وَفِيهِمْ
إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ ³ وقال : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ ⁴

¹ سورة المرسلات ، الآية 35.

² سورة الصافات ، الآية 27.

³ سورة الصافات ، الآية 18.

⁴ سورة الرحمن ، الآية 39.

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

والجواب ما ذكرناه وأنهم لا ينطقون بحجة تجب لهم وإنما يتكلمون بالإقرار بذنوبهم ، ولوم بعضهم بعضاً ، وطرح بعضهم الذنوب على بعض ، فأما التكلم والنطق بحجة لهم فلا " .
﴿سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَعَلَى مَا نَعْمَلُ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فَرِغَ مِنْهُ أَوْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ قَالَ بَلْ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فَرِغَ مِنْهُ وَجَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ يَا عَمْرُؤَ وَلَكِنْ كُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ﴾(1).

1- اختلف في تأويل قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ .
أ- قالت طائفة منهم الضحاك : المعنى ما دامت سموات الجنة والنار وأرضهما ، والسماء كل ما علاك فأظلك ، والأرض ما استقر عليه قدمك ، وفي التنزيل : ﴿ وَأَوْرَثْنَا

الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُهَا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾² ، وقد ورد أن للآخرة سموات وأرض غير هذه .

ب- قالت طائفة : أراد به السماء والأرض المعهودتين مع ثبوت زوالهما يوم القيامة ، وأجرى ذلك على عادة العرب في الإخبار عن دوام الشيء وتأبيده كقولهم : هو دائم ما دامت السموات والأرض ، وقولهم : لا أتيناك ما جن الليل ، أو ناح الحمام ... إلخ .
والمعنى : أنهم خالدون فيها أبداً لا انقطاع لذلك ولا انتهاء له .

ج- عن ابن عباس أن جميع الأشياء المخلوقة أصلها من نور العرش وأن السموات والأرض في الآخرة تردان إلى النور الذي أخذتا منه فهما دائمتان أبداً في نور العرش .
2- اختلف المفسرون وأهل العلم في معنى الاستثناء في قوله ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ إلى أقوال كثيرة منها :

الأول : أنه من قوله ﴿ فِي النَّارِ ﴾ كأنه قال : إلا ما شاء ربك من تأخير قوم عن ذلك . وهو قول أبي النضر وأبي سعيد الخدري .

الثاني : أن الاستثناء إنما هو للعصاة من الموحدين ، وأنهم يخرجون بعد مدة من النار ، وعلى هذا يكون قوله ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا ﴾ عامة في الكفرة والعصاة ، ويكون الاستثناء من خالدين ، وتكون ما بمعنى من ، وبهذا قال قتادة والضحاك وأبو سنان وغيرهم .

(1) سنن الترمذي 379/10، ح 3036.

² سورة الزمر، الآية 74.

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

وقد ثبت بالأحاديث المتواترة تواتراً يفيد العلم الضروري بأنه يخرج من النار أهل التوحيد ، فكان ذلك مخصصاً لكل عموم .

الثالث : أن الاستثناء من الزفير والشهيق : أي لهم فيها زفير وشهيق ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من أنواع العذاب الأخرى غير الزفير والشهيق . قاله الأنباري .

الرابع : أن معنى الاستثناء : أنهم خالدون فيها ما دامت السموات والأرض لا يموتون إلا ما شاء ربك ، فإنه يأمر النار فتأكلهم حتى يفنوا ، ثم يجدد الله خلقهم . روي ذلك عن ابن مسعود .

الخامس : أن إلا بمعنى سوى . والمعنى : ما دامت السموات والأرض سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود ، كأنه ذكر في خلودهم ما ليس عند العرب أطول منه ، ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له . حكاة الزجاج .

السادس : أن هذا لا ينافي عدم المشيئة كقولك : والله لأضربنه إلا أن أرى غير ذلك ، ونوقش هذا بأن معنى الآية الحكم بخلودهم إلا المدة التي شاء الله ، فالمشيئة قد حصلت جزماً . روى عن الفراء وابن الأنباري وابن قتيبة والزجاج .

السابع : أن المعنى خالدون فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من مقدار موقفهم في قبورهم للحساب . حكاة الزجاج أيضاً .

الثامن : أن المعنى : خالدون فيها إلا ما شاء ربك من زيادة النعيم لأهل النعيم وزيادة العذاب لأهل الجحيم . حكاة أيضاً الزجاج واختاره الحكيم الترمذي .

التاسع : أن (إلا) بمعنى الواو . قال الفراء . المعنى : وما شاء ربك من الزيادة . قال مكي : وهذا القول بعيد عن البصريين أن تكون إلا بمعنى الواو .

العاشر : أن (إلا) بمعنى الكاف ، والتقدير : كما شاء ربك ، ومنه قوله ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾¹ . أي : كما قد سلف .

الحادي عشر : أن هذا الاستثناء إنما هو على سبيل الاستثناء الذي ندب إليه الشارع في كل كلام فهو على حد قوله ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾¹ . روي نحو هذا عن أبي عبيد .

¹ سورة النساء، الآية 22.

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

الثاني عشر : الاستثناء بالمشيئة استعمل للدلالة على الثبوت والاستمرار ، والنكته في ذكره بيانه أن هذه الأمور كانت بمشيئته تعالى ولو شاء لغيرها ، وليس شيء خارج عن مشيئته ، فالإيمان والكفر ، والسعادة والشقاوة ، والخلود والخروج كلها بمشيئة الله .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَبِمِ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَآءَ غَيْرَ مَجْدُوذٍ ﴾² .

﴿ قَلَّا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ

مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوْبُوهُم نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١١٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى

الْكِتَابَ بِأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ

وَإِنَّهُمْ لَهِيَ شَكٌّ مِّنْهُ مُرِيبٌ ﴿١١٧﴾ وَإِن كُلاَّ لَمَّا لِيُوْقِنَنَّهْم رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ

إِنَّهٗ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٨﴾ فَاسْتَفِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا

تَ؁غَوَا إِنَّهٗ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٩﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١٢٠﴾

وَأفِمْ الصَّلَاةَ طَرَقِي النَّهَارِ وَزُلجًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ

ذَٰلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴿١٢١﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

• ﴿١٢٥﴾

1- قوله وَإِنَّا لَمُوْبُوهُم نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ فيه ثلاثة أقوال : (أحدها) :

نصيبهم من الرزق ، قاله أبو العالية ، (الثاني) : نصيبهم من العذاب ، قاله ابن يزيد ، (الثالث) : ما وعدوا به من خير أو شر ، قاله ابن عباس رضي الله عنه .

¹ سورة الفتح ، الآية 27 .

² سورة الفتح ، الآية 108 .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ بِأَخْتِلَافٍ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَمِنْ شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ .﴾

- وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ أَي : بين قومك يا محمد ، أو

بين قوم موسى .

﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَا لِيََوِّقِينََّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٣﴾﴾

﴿بِاسْتَفِيمَ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَتَّخِذْ غَوًّا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿١١٤﴾﴾

- وأخرج البيهقي في الشعب عن أبي علي السري قال ﴿ رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

فقلت يا رسول الله روي عنك أنك قلت شيبتي هود قال نعم فقلت ما الذي شيبك منها

قصص الأنبياء وهاك الأم قال لا ولكن قوله ﴿ بِاسْتَفِيمَ كَمَا أَمَرْتَ ﴾ ﴿١﴾ .

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٥﴾﴾ 1- قوله ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

اختلف المفسرون في هذه الآية هل هي خاصة بالمشركين أو عامة فقيل : خاصة

بالمشركين ، وقد روي عن ابن عباس ، وقيل عامة في الظلمة سواء كانوا كفاراً أو مسلمين

، وهذا هو الظاهر من الآية .

2- قال النيسابوري في تفسيره : قال المحققون : الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه

الظلمة ، أو تحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم ، ومشاركتهم في شيء من تلك الأبواب

فإما مداخلتهم لرفع ضرر واجتلاب منفعة عاجلة ، فغير داخلة في الركون . قال : وأقول

هذا من طريق المعاش والرخصة ، ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ

بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (الزمر : 36) .

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقاربة تداولية " سورة هود " أنموذجا

3- قوله ﴿ فَبَتَّمَسَّكُمْ النَّارُ ﴾ بسبب الركون إليهم ، وفيه إشارة إلى أن الظلمة أهل

النار ، أو كالنار ، ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار .

وَأَفِمْ الصَّلَاةَ طَرَقِي النَّهَارِ وَزُلْبَاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ

ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ - قوله : ﴿ وَأَفِمْ الصَّلَاةَ طَرَقِي النَّهَارِ ﴾ في

المراد أقوال :

أ- الفجر والعصر .

ب- الفجر والظهر .

ج- الفجر والمغرب .

1 - والراجع : الأول لأن الفجر أول النهار والعصر في آخره وأما الظهر فليست في

الطرف وإنما في الوسط وأما المغرب فهي في الليل وليست في النهار .

- قوله : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ﴾ اختلف المفسرون في المراد منها

إلى أقوال :

أ- ذهب جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين إلى أن الحسنات هنا الصلوات الخمس .

ب- قال مجاهد : الحسنات قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

ج- قال الشوكاني : الحسنات هنا على العموم بما فيها الصلوات الخمس ، والسيئات على

العموم أيضاً صغائر وكبائر .

د- قال ابن عطية : والذي يظهر أن اللفظ عام في الحسنات ، خاص في السيئات ، لقوله

﴿ مَا اجْتَنِبْتُ الْكِبَائِرُ ﴾ (1).

والراجع - والله أعلم - قول الشوكاني لدليلين (أولهما) لأنه لا دليل لتخصيص العموم في

الآية ، وأما الحديث الذي استدل به ابن عطية فهو خاص بما ذكر فيه من الصلوات

الخمسة والجمعة ... إلخ ، ولا يوجد ما يثبت أنه تخصيص لهذه الآية تحديداً (ثانيهما) أن

مجموع الأحاديث في ذلك تدل على أن الأعمال الصالحة تكفر السيئات .

(1) مسند أحمد 400/17، ح 8358.

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

3- قوله ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أي : إن الحسنات على العموم ، ومن جملتها بل عمادها الصلاة يذهبن السيئات على العموم ، وقيل المراد بالسيئات : الصغائر ، ومعنى يذهبن السيئات : يكفرنها حتى كأنها لم تكن .

4- قال القرطبي : "ذكر الله سبحانه في كتابه الصلاة بركوعها وسجودها وقيامها وقراءتها وأسمائها فقال ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ¹ ﴾ ، وقال ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ *

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (الروم : 17-18) وقال : ﴿

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ (طه : 130) وقال : ﴿ اِرْكَعُوا

وَاسْجُدُوا ﴾ (الحج : 77) وقال : ﴿ وَفُؤُومًا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (البقرة : 238) وقال : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ

الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ (الأعراف : 204) وقال :

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ (الإسراء : 110) أي : بقراءتك ، وقال : ﴿ وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ طَرْفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ (هود : 114) .

وهذا كله يجمل أجمله في كتابه وأحال على نبيه في بيانه ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ

مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل : 44) فبين ﷺ مواقيت الصلاة وعدد الركعات والسجادات وصفة

جميع الصلوات فرضها وسننها وما تصح الصلاة إلا به من الفرائض وما يستحب فيها من

السنن والفضائل فقال في صحيح البخاري : ﴿ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ﴾ (2).

=====

﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

بَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْفُرُوقِ مِمَّنْ قَبْلِكُمْ ؕ أُولُوا بَفْيَةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي

الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ؕ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ

وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِقَوْلِكَ وَأَهْلِهَا

مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ

¹ سورة هود ، الآية 114.

(2) صحيح البخاري 7/3 ، ح 595.

مُخْتَلِبِينَ إِلَّا مَسَّ رَحْمَ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَفَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾ وَكَأَلَّا نَفْسُ عَلَيْكَ مِنْ
أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنشِئُ بِهِ بُرُودًا وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ
وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى
مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ وَانْتَرَوْا إِنَّا مُنْتَرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا
رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

- قال القرطبي : "قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى ﴾ أي أهل

القرى ﴿ بِإِلْمٍ ﴾ أي بشرك وكفر ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ أي فيما بينهم من تعاطي
الحقوق ، أي : لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى يضاف إليه الفساد كما أهلك قوم شعيب
ببخس المكيال والميزان وقوم لوط باللواط ، ودل هذا على أن المعاصي أقرب إلى عذاب
الاستئصال في الدنيا من الشرك وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب ، قال ﷺ : ﴿إِنَّ
النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْتَمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ﴾ (1).
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِبِينَ ﴾²

قال القرطبي : ﴿ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الموعظة ما يتعظ به من إهلاك الأمم
الماضية والقرون الخالية المكذبة ، وهذا تشريف لهذه السورة لأن غيرها من السور قد جاء
فيها الحق والموعظة والذكرى ولم يقل فيها كما قال في هذه على التخصيص ﴿ وَذِكْرٌ
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(1) سنن الترمذي 73/8 ، ح 2094.

(2) القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، 1949 ، ص

² سورة هود ، الآية 118.

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

قال الشوكاني : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي : علم جميع ما هو غائب عن العباد العلم الذي لا يشاركه فيه غيره .

قد تنوعت الافعال الكلامية في خطاب السورة وتعددت واختلفت افعال الكلام الاخبارية التقريرية النسبة الاكبر في خطاب السورة لارتباطها بوصف احوال المخاطبين ووصف عضمة الخالق سبحانه وذكر اخبار الاولين وقصصهم لكنها الافعال الكلامية التوجيهية الطلبية وبخاصة افعال النداء والاستفهام والامر والنهي لارتباطها بالاحكام والتكاليف الشرعية وقد اختلفت هذه الافعال من حيث درجة قوتها الانجازية توكيد او اثبات ونفيا مراعاة لحوال المخاطبين وتحقيق لمقاصد وغايات الخطاب القرآني في السورة والتي تحتوي بين طياتها . كما ذكرت آنفاً . على فنون من البلاغة لا يجتمع إلا القليل منها في روائع البيان العربي ، بيد أنَّها تخالف الفنون الأخرى في خلوها من التكلُّف، وبعدها عن التصنُّع هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنَّها من أبلغ الطرق، وأمثلة السبل في تبليغ مضامين الرسالة في الدعوة إلى التَّوْحِيد، ووصف الكتاب بالإحكام والتفصيل، وسرد القصص القرآني عبرةً وعظةً لأولي الألباب.

يكاد يتفق معظم العلماء على تعريف الإنشاء، فالجملة الإنشائية عندهم هي: كلُّ كلام لا يصح أن يقال لصاحبه: إنَّه صادق فيه أو كاذب، أو كلُّ كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته . وفي هذا يورد القزويني قوله: "وجه الحصر: أن الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنَّه إما أن يكون (2) لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه. أو لا يكون لها خارج. الأول الخبر، والثاني الإنشاء . " ويقسم القزويني الإنشاء إلى قسمين: طلبي، وغير طلبي، والذي نحن بصدد تناوله هو الإنشاء الطلبي حيث يقول: " الإنشاء ضربان: طلب، وغير طلب " . والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل والإنشاء الطلبي خمسة أضرب هي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء. ومن البلاغيين من يضيف إليها العرض والتحضيض. "ولكن الأنواع الخمسة الأولى أكثر استعمالاً وحملًا لشئى الدلالات، واللطائف البلاغية ، لذلك سأتناول هذه الأنواع، محاولاً تطبيقها على سورة هود عليه السلام كلما أمكن ذلك.

وإذا عدنا إلى الأساليب الإنشائية في سورة هود؛ فإننا نجد أنَّها وردت في السورة الكريمة في مائة وتسعة عشر موضعاً (119) تقريباً، ترددت بين الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني،

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

والنداء، مع ملاحظة أن عدد الأساليب الإنشائية يقترب كثيراً من عدد آيات السورة البالغ مائة وثلاثاً وعشرين آية، مع ملاحظة أن مجموع أساليب الأمر يساوي عدد أساليب النهي والاستفهام .

ويمكن بيان تمثيل الأساليب الإنشائية في السورة الكريمة من خلال الجدول الآتي :

المجموع	النداء	التمني	الاستفهام	النهي	الأمر	الأساليب الإنشائية الطلبية (بمختلف صيغاتها)
119	32	1	23	20	43	العدد
100	26.9	0.84	19.3	16.8	36.1	النسبة

ويتمثل الأمر في القرآن الكريم في مواضع لا حصر لها، وفي سورة هود عليه السلام نماذج متنوعة، وضروب متعددة للأمر، فقد تفوق أسلوب الأمر من حيث العدد في السورة على سائر الأساليب، حيث ورد في الآيات في ثلاثة وأربعين موضعاً (43) ، وأول أساليب الأمر مرتبطة بالحث على الاستغفار، وهذا ما يشيع في قصص الأنبياء، ويتمثل ذلك في قوله تعالى وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى

أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ¹

إن أسلوب النهي لا يتصل بالبلاغة العربية وحدها، وإنما يتصل بالقرآن وعلومه. والقرآن الكريم يزدان بأساليب النهي، فما من سورة تقع بين دفتي القرآن إلا وتحمل بين صفحاتها عشرات الأساليب. وإذا كان النهي يحمل المعنى السابق وهو "طلب الكف عن الفعل، أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام"، فإن الذي يتأمل هذه الصيغة يجد أنها قد تخرج أحياناً عن معناها الحقيقي للدلالة على معانٍ أخرى تستفاد من السياق، وقرائن الأحوال مثل الدعاء، الالتماس، التمني، النصيح والإرشاد، التوبيخ، التحقير، التينيس، والتهديد. أما أساليب النهي في سورة هود عليه السلام فقد وردت في عشرين موضعاً (20) ، وأول هذه

¹ سورة هود ، الآية 3

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقاربة تداولية " سورة هود " أنموذجا

الأساليب قوله تعالى : **أَلَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ**¹ وتكرر الأسلوب نفسه في قوله تعالى: **أَنْ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ**

يَوْمِ آلِ يَمِّ

والنهي في الآيتين السابقتين للتحذير من عبادة غير الله من ناحية، ووجوب عبادته من ناحية أخرى.

والاستفهام كما تدل صيغة الاستفعال هو: "طلب الفهم ولكن أساليب الاستعمال تجعل ذلك أقل دلالات الصيغة خطراً وبخاصة في السياق القرآني؛ لأن الله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو منزه عن طلب الفهم، ومن ثم يكون للاستفهام في القرآن الكريم وظائف أخرى غير ذلك .

ومن أساليب الاستفهام في السورة في قوله تعالى : ﴿ **فَبِأَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ**

فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَآن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾³ ،

وغرض الاستفهام هنا الأمر، "وهو استفهام ومعناه أمر الآية قوله: "صيغة الاستفهام معناها هنا الأمر، أي: فأسلموا بعد ظهور هذه الحجة القاطعة . ورأى بعضهم أن الاستفهام للحث على الفعل، والترغيب فيه .

ويعد الاستفهام من مقومات التركيب اللغوي، وأسس بنيانه شأنه شأن الأساليب الأخرى من أمر ونهي وتمني ونداء حيث انصهرت الأساليب جميعاً في بوتقة واحدة فشكلت بعداً جمالياً بديعاً، ومظهراً فنياً رائعاً.

وبنظرة بسيطة ندرك أن أسلوب التمني هو أقل الأساليب الإنشائية وروداً في سورة هود عليه السلام، حيث إن التمني لم يرد في السورة إلا مرة واحدة، في قوله تعالى : **فَالْوَأَن لِّ**

¹ سورة هود ، الآية 02.

² سورة هود ، الآية 21.

³ سورة هود ، الآية 14.

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

بِكُمْ فُؤَةٌ أَوْ - أَوْ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٧٦﴾ ، وتخالف (لو) حروف التمني

الأخرى، والغرض البلاغي من استعمال (لو) في التمني هو: "الإشعار بعزة التمني ؛ لأن المتكلم يظهره في صورة الممنوع " ، إذ إن (لو) تدلُّ بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط ووروده لا يقارن بالأساليب الإنشائية الأخرى . الأمر، والنهي، والنداء، والاستفهام . من حيث العدد، ورغم ذلك فإن كثيراً من العلماء تناول هذه الآية بالشرح والتحليل.

وإذا تتبعنا أسلوب النداء في سورة هود؛ نجد أن هذا الأسلوب ورد في السورة في اثنين وثلاثين (32) موضعاً ، وقد تنوع بين النداء المتبادل بين الأنبياء وأقوامهم. ونداء نوح الله سبحانه وتعالى من ناحية، ونداء ابنه من ناحية ثانية، ولعلَّ النداء الذي يتكرر بصورة واضحة بين آيات سورة هود هو قوله تعالى:

﴿يَا قَوْمِ﴾ إذ تكرر هذا النداء في الآيات ست عشرة مرة (16) ومثل هذا العدد يقارب (2) نصف عدد أساليب النداء تقريباً، وقد غلب على هذا النداء التلطف بقومه في الخطاب؛ لأنهم أبناء عشيرته ، أما التكرار للنداء فهو من قبيل تأكيد التلطف بهم في الخطاب ، ويتضح ذلك في الآيات :

﴿ قَالَ يَفْقَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَٰتِبِنِي رَحْمَةً مِّن

عِنْدِهِ فَعَمِيَّتْ عَلَيْكُمْ وَأَنْزَلْنَاكُمْ مَّاءً وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ² .

وَيَفْقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّؤْمِنُونَ رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرِيكُمْ فَوْماً تَجْهَلُونَ ﴿٧٦﴾

وَيَفْقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ³ .

¹ سورة هود ، الآية 88 .

² سورة هود ، الآية 28 .

³ سورة هود ، الآية 29 . الآية 30

الفصل الثاني : أفعال الكلام مقارنة تداولية " سورة هود " أنموذجا

ويعد الخبر في سورة هود - عليه السلام - الأداة الرئيسية في قصص الأنبياء عليهم السلام وفي تمهيدها وتعقيباتها ، ولو تتبعنا كل الصور الخبرية فيها لطلنا بنا الوقوف ، ولكننا سنكتفي بعرض إحصاء للأسلوب الخبر الذي استخدم في حقائق وأخرى خرجت عن تلك الحقائق واستعملت في معان ثانية لأسرار بلاغية اتضحت عند تناولنا لها .

الاسلوب الخبري	الاخبار التي استخدمت في حقائقها	الخبر في السورة بين الفائدة ولازمها	الخبر التعليل	الخبر الخارج عن الفائدة ولازمها	المجموع
العدد	03	03	11	38	55
النسبة	5.45	5.45	20	69.09	100

وما صعب عملية إحصاء الأسلوب الخبري تنوع مقاصده ومعانيه البلاغية ففي بعض مواطن السورة جاء الخبر دالا عن حقيقته في معظم مواقعه قائم على حوار تردد كثيرا بين الطرفين (الدعوة للإسلام ، المعارض للدعوة) ، ونراه يكثر في موقف الطرف المعارض للدعوة .